زغرودة حلوة

■■■

داخل إحدى عربات المترو - تابعت كالعديد من الركاب - بعض المشاهد الدرامية الإنسانية المؤثرة جدًّا.. مشاهد تستحق التأمل والتسجيل لأهميتها.

المشهد الأول:

- سيدة ثلاثينية بدينة، تبدو من ملامحها وملابسها أنها متوسطة الحال والثقافة، ومن الفئات الكادحة، التي تستهلك نفسها في شئون منزلها، وعملها الوظيفي لمساعدة زوجها في توفير أبسط احتياجات أولادها، فاجأتها آلام الولادة في أثناء ركوبها المترو من محطة حلوان في طريقها إلى عملها بوسط القاهرة على ما يبدو وفيما تَبيَّنَ بعد ذلك من خلال حديثها مع النساء اللاتي ركبن معها.

المشهد الثاني:

- نظرًا لشدة آلام السيدة وصراخها المصحوب بكلمات الاستغاثة وطلب النجدة والمساعدة، تعالت أصوات النساء المطالبات بإيقاف المترو عن الحركة؛ لإنقاذ الحالة ونقلها إلى أقرب مستشفى للولادة، وبالفعل تَوقَّفَ السائق بعد التنسيق مع قياداته؛ تفاديًا لوقع أي كارثة تصادم قد تنتج عن ذلك.

ولأننا في مصر ولسنا في دولة أخرى؛ كان لطف الله تعالى بالسيدة وجنينها عظيما، إذ تجمعت حولها الراكبات لمساعدتها بشكل فاق كل التوقعات، حيث نجحن في إخراج الوليد من بطن أمه بطريقة بدائية للغاية، وبعيدة كل البعد عن

الاختراعات الطبية الحديثة، كـ«ضرورة التدخل الجراحي لفتح بطن الأم حفاظًا على حياتها وحياة الجنين و.....»إلخ. وذلك بعد أن وفرن لها ما تَيَسَّرَ من مستلزمات الولادة البسيطة، كالمياه وقطع القماش.

اللافت للنظر أنه في أثناء إتمام الولادة بأيدي الراكبات العاديات – العظيمات، كان قد تم استدعاء بعض الأطباء من مستشفى حلوان العام، ولكن مع حضورهم كان المولود قد خرج إلى النور.

المشهد الثالث:

– أصرَّت الراكبات اللاتي شاركن في عملية الولادة على إنزال السيدة ومولودها إلى رصيف المحطة، ومصاحبتهما إلى مستشفى حلوان؛ للاطمئنان عليهما، والتأكد من سلامتهما، وقد كان لهن ما أردن.

المشهد الرابع:

– سعادة وهمس وغمز وضحك ونكات.. كل ذلك لاحظته على وجوه الركاب الذين اصطفوا على رصيف المحطة؛ انتظارا لمترو آخر بعدما تم سحب المترو الذي شهد واقعة الولادة إلى الجراج لتنظيفه.

وكعادتنا دائمًا وأبدًا في مثل هذه المواقف «المسرات والمضرات»، لايمكن أن تمر مرور الكرام دون توظيفها بالشكل والطريقة التي تضفي البهجة على المكان ومن فيه.

فسمعت تعليقات طريفة جدًّا من الركاب، كمطالبة أحدهم تسمية المولود بـ«مترو»، بينما طالب ثانٍ بتسميته «شفيق»، وثالث – واضح أنه ينتمي لجماعة الإخوان الإرهابية – اقترح تسميته «مرسي»؛ نظرًا لظروف الاستعداد لإعادة الانتخابات الرئاسية في هذا التوقيت بين المرشحين الرئاسيين الأسبقين. أما أنا فقد اقترحت مبتسما تسميته بـ«فرج الله».. انتهى.